

تفسير البحر المحيط

@ 155 @ تبين قبح فعلهم أي ثم بعد معرفتكم بهذا كله وتحققه أنتم تشركون ؛ انتهى .
وقيل : معنى { يُشْرِكُونَ } تعودون إلى ما كنتم عليه من الإشراك وعبادة الأصنام ولا يخفى ما في هذه الجملة الإسمية من التقبيح عليهم إذ ووجهوا بقوله : { تُمْسُّكُمْ أَنْتُمْ } كقوله : { تُمْسُّكُمْ أَنْتُمْ } هؤلاء بعد قوله { وَإِذَا كَانَ الْخَبَرُ } بصيغة المضارع المشعر بالاستمرار والتجدد في المستقبل كما كانوا عليه فيما مضى . .

{ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ }
من تَحْتَ أَرَجُلِكُمْ { هذا إخبار يتضمن الوعيد ، والأظهر من نسق الآيات أنه خطاب للكفار وهو مذهب الطبري . وقال أبي وأبو العالية وجماعة : هي خطاب للمؤمنين . قال أبي : هن أربع : عذاب قبل يوم القيامة مضت اثنتان قبل وفاة الرسول بخمس وعشرين سنة لبسوا شيعاءً وأذيق بعضهم بأس بعض ، وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم . وقال الحسن : بعضها للكفار بعث العذاب من فوق ومن تحت وسائرهما للمؤمنين ، انتهى . وحين نزلت استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم) وقال في الثالثة : (هذه أهون أو هذه أيسر) ؛ واحتج بهذا من قال هي للمؤمنين . وقال الطبري : لا يمتنع أن يكون عليه لسلام تعوذ لأمته مما وعد به الكفار وهون الثالثة لأنها في المعنى هي التي دعا فيها فمنع كما في حديث الموطأ وغيره . والظاهر { مِّنْ فَوْقِكُمْ } أَوْ مِنْ تَحْتَ أَرَجُلِكُمْ { الحقيقة كالصواعق وكما أمطر على قوم لوط وأصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان ، كقوله : { فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثُذًهِمَرٍ } وكالزلازل ونبع الماء المهلك وكما خسف بقارون . وقال السدي عن أبي مالك وابن جبير : الرجم والخسف . وقال ابن عباس : { مِّنْ فَوْقِكُمْ } ولاية الجور و { مِنْ تَحْتَ أَرَجُلِكُمْ } سفلة السوء وخدمته . وقيل : حبس المطر والنبات . وقيل : { مِّنْ فَوْقِكُمْ } خذلان السمع والبصر والأذان واللسان و { مِنْ تَحْتَ أَرَجُلِكُمْ } خذلان الفرح والرجل إلى المعاصي ؛ انتهى ، وهذا والذي قبله مجاز بعيد . .

{ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا } أي يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم انشاب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال كقول الشاعر : % (وكتيبة لبستها بكتيبة %) .

حتى إذا التبست نفصت لها يدي فتركتهم تقص الرماح ظهورهما بين منعفر وآخر مسند .

قال ابن عباس ومجاهد : تثبت فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقا . وقيل : المعنى يقوي عدوكم حتى يخالطوكم . وقرأ أبو عبد الله المدني { يَلَايَسْكُمْ } بضم الياء من اللبس استعارة من اللباس فعلى فتح الياء يكون شيعا حالا . وقيل : مصدر والعامل فيه { يَلَايَسْكُمْ } من غير لفظه ؛ انتهى . ويحتاج في كونه مصدرا إلى نقل من اللغة وعلى ضم الياء يحتمل أن يكون التقدير أو يلبسكم الفتنة شيعا ويكون شيعا حالا ، وحذف المفعول الثاني ويحتمل أن يكون المفعول الثاني شيعا كان الناس يلبس بعضهم بعضا كما قال الشاعر